قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

التحولات الوظيفية لمساجد الزوايا والأضرحة بين الأمس واليوم
دراسة أنثروبولوجية بالزيبان وجنوب الأوراس

Job shifts to the mosques of the zawiya and shrines between yesterday and today
Anthropological study in Zyban and South Aures

سليم درنوني [1]، *
[1] جامعة محمد خيضر، بسكرة- الجزائر.

Key words:
The mosque
the Zawiya
The shrine
the shift
Function.

Abstract

The central thesis that this research work seeks to defend, illuminate its marks and reveal its manifestations, is to stand on the active functions of the mosques zawiyas and shrines, and monitor their transformation and profound impact on social and cultural life, to emphasize that these sacred spaces made our history, and tattooed in our memory, and ongoing In our lives, it has a luminous presence in our present, despite the material currents that surround us against spiritual phenomena, and thus the Holy Holy State is part of our being, as a token of our civilization and existence.

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال : 2019-12-03
المراجعة :
القبول : 2020-01-16
الكلمات المفتاحية:
المسجد
الزاوية
الضريح
التحول
الوظيفة

ملخص

الأطروحة المركزية التي يسعى هذا العمل البحثي إلى الدفاع عنها، وإضاءة علاماتها والكشف عن تجلياتها، تتمثل في الوقوف على الوظائف الحيوية لمساجد الزوايا والأضرحة، ورصد تحولاتها وتأثيرها العميق في الحياة الاجتماعية والثقافية، للتأكيد على أن هذه الفضاءات المقدسة صنعت تاريخنا، وموشومة في ذاكرتنا، ومستمرة في حياتنا، ولها حضور مشع في راهننا، رغم ما يحيط بنا من تيارات مادية مناوئة للظواهر الروحية، ومن ثم فإن المقدس الولوي جزء من كينونتنا، وعربون حضارتنا ووجودنا.

1- مقدمة

عرفت منطقتي الزيبان والأوراس جملة وافرة من المساجد الأثرية والتاريخية التي بنيت في فضاءات الزوايا وبها أضرحة الشيوخ والأولياء وأهل الصلاح، الذين شكلوا جزءا هاما من مظاهر قداسة هذه الفضاءات، وملأوا الفراغ الروحي والعلمي في الماضي، ولا زالوا يشعون بكثير من الجوانب الروحية، بل وهناك حنين لكثير من مظاهر التدين الشعبي التي كانت سائدة في الماضي، الأمر الذي وفر لها الظروف الملائمة لإحيائها وانبعاثها من جديد.

* Corresponding author at: University of Biskra - ALGERIA
Email : anthropders@gmail.com

وبالرغم مما كتب حول هذه الفضاءات المقدسة سواء من طرف الإثنولوجيا الكلونيالية، أو من طرف الباحثين المحليين زمن الاستقلال، فإنها إلى أمس الحاجة إلى دراسة مونوغرافية تنكب على التعريف بها، واستجلاء وظائفها، وتحليل أعمالها، ومقاربة حضورها في الثقافة على سبيل التفاعل والتوظيف... وهو ما حاولت هذه الدراسة القيام به في ظل عمل جامعي وفي نطاق اشتغال أكاديمي.

لذلك فإن الأطروحة المركزية التي يسعى هذا العمل البحثي إلى الدفاع عنها، وإضاءة علاماتها والكشف عن تجلياتها، تتمثل في الوقوف على الوظائف الحيوية لمساجد الزوايا والأضرحة، ورصد تحولاتها وتأثيرها العميق في الحياة الاجتماعية والثقافية، للتأكيد على أن هذه الفضاءات المقدسة صنعت تاريخنا، وموشومة في ذاكرتنا، ومستمرة في حياتنا، ولها حضور مشع في راهننا، رغم ما يحيط بنا من تيارات مادية مناوئة للظواهر الروحية، ومن ثم فإن المقدس الولوي جزء من كينونتنا، وعربون حضارتنا ووجودنا.

2. إشكالية الدراسة

البحث في هذا المجال ما هو إلا قراءة لغوية وثقافية واجتماعية لتراث ديني لا زال له حضور ووجود في أدبيات الحياة الدينية للمجتمع المغاربي، وما الزخم الذي تشهده مساجد الزوايا وزيارة الأولياء والأضرحة بمنطقة الزيبان والأوراس في السنين الأخيرة لدليل على إحيائها وانتعاشها من جديد. وما دفعنا لهذا الموضوع هو ذلك الحضور للأولياء والأضرحة بهذه المنطقة التي تقاسمها المرابطين –الأولياء. فالمنطقة كما هي موزعة جغرافيا فهي موزعة أيضا عقائديا. إذ لا يوجد دوار أو وادي أو دشرة بدون حضور لزاوية أو لطريقة صوفية أو قبة لضريح ولي كان ذات يوم هنا أو هناك...

ولم تتوقف الزوايا والمساجد في الجزائر على غرار الدول المغاربية عن الحضور الدائم والمستمر، ولا يمكن تجاهل دورها، غير أن هذا لا يكفي لتفسير الواقع السوسيو- ديني في الجزائر، ولا يمكن أن نربط من جهة: بين ما يسمى التدين الشعبي والزوايا على أساس أنها تمثل ذلك التدين. ومن جهة أخرى بين ما يسمى بالتدين الرسمي والمساجد على أساس أن المسجد هو المؤسسة الرسمية الوحيدة التي تمثله.

الزاوية جزء من التدين الشعبي أو مظهر من مظاهره لكنها ليست التعبير الوحيد عنه؛ فما يميز الزوايا هي كونها تجمعات تحيط نفسها بطقوس تنتمي إلى خليط من المعتقدات وتبني قوتها على الغموض والعلاقات الوثيقة والتاريخية مع أركان السلطة. وفي غالب الأحيان لا نجد زاوية من الزوايا دون أن يلازمها ضريح أو مقام مؤسسها أو شيخ من شيوخها، كما يؤسس فيها أو بالقرب منها مسجد أو جامع تؤدى فيه العبادات وتقام فيه الشعائر والاحتفالات...إلخ. هنا ينشأ التساؤل الأول لإشكالية الفضاءات المقدسة في الجزائر: هل تخلت الأوساط الشعبية عن الزوايا وما ارتبط بها من ممارسات، أم أن القوة الكامنة فيها والانجذاب الرمزي والشعبي التلقائي للممارسات الطقوسية السائدة في أوساطها تعطيها قوة الاستمرار والانتشار، وعودة الظهور والانتعاش، وذلك بحسب الظروف والتحولات التي يشهدها المجتمع بأسره؟ ما هي التحولات التي طرأت على وظائف مساجد الزوايا على غرار وظائفها التقليدية ووظائفها؟ ألا تشكل مساجد الزوايا والأضرحة الفضاء الخصب الذي ينمو فيه الإرث الثقافي والديني محاولا التأقلم مع الحداثة وفق التقاليد الإسلامية؟

3. مفاهيم الدراسة

3. 1. المسجد

جاء في لسان العرب: "سَجَدَ يَسْجُدُ سجوداً وضع جبهته بالأَرض، وقوم سُجَّدٌ سجود...والمَسْجَدُ المسجِد الذي يسجد فيه، والمِسْجَدَةُ : السَّجَّادَةُ والخُمْرَةُ المَسجود عليها. والمَسْجَدُ بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه نَدَبُ السجود. وقوله تعالى:﴿وأَن المساجد لله﴾؛ قيل : هي مواضع السجود من الإنسان الجبهة والانف واليدان والركبتان والرجلان . وقال الليث في قوله عز وجل﴿وأَن المساجد لله ﴾ قال: السجود مواضعه من الجسد والأَرض مساجد واحدها مسجَد. وقال: المسجِد اسم جامع حيث سُجد عليه وفيه. فأَما المسجد من الأَرض فموضع السجود نفسه".[1]

ما بين المسجد والجامع من حيث الاستعمال في العرف واللغة هناك ثلاثة استعمالات:

الأول: الاستعمال على سبيل الترادف، كأن نطلق على المكان الخاص بالعبادة، تارة عنوان (المسجد)، وتارة عنوان (الجامع). كما هو حاصل في المجتمعات الإسلامية، ففي مناطق كالخليج والجزيرة العربية يستعملون اسم المسجد، وفي مناطق بلاد الشام والعراق وشمال إفريقيا يستعملون اسم الجامع.

الثاني: يقال المسجد الجامع، مع الألف واللام في لفظ المسجد، والجامع هنا نعت للمسجد لأنه علامة للاجتماع.[2]

الثالث: يقال مسجد الجامع، من غير الألف واللام في لفظ المسجد، ويُراد من الجامع هنا الإضافة، كقولك: الحق اليقين وحق اليقين، بمعنى مسجد اليوم الجامع، وحق الشيء اليقين، لأن إضافة الشيء إلى نفسه لا تجوز إلا على هذا التقدير.[3]

3. 2. الزاوية

اللفظ "زاوية" مشتق من الفعل انزوى، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبّد. كما يطلق على الزوايا لفظ: الخوانق، وهي جمع خانكاه. كلمة فارسيّة تعني بيت، وأصلها خانقاه، وهي الموضع الذي يأكل فيه الملك.

وسميت بذلك لأن الذي فكر في بنائها أول مرة من المتصوفة

والمرابطين، اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد بحثا عن الهدوء والسكون، لأنهما يساعدان على التأمل والرياضة الروحية، ويناسبان جو الذكر والعبادة.[4] وتعني عادة الركن من البيت، وتولدت لها معاني كثيرة مثل قولهم انزوى الناس بعضهم لبعض أي تضامنوا وتآلفوا.[5]

ويقول الشيخ السنوسي: «إن كلمة الزاوية دال على معناها، وهي من زوى، يزوي إذا جمع الشيء». وبالتالي فالزاوية جامعة، لكونها تجمع العباد على حب الله ورسوله، وذكره تعالى، وكانت العرب تقول: «تزاوى القوم». أي تضامنوا، وتحلقوا في بقعة لغرض ما من أغراض الحياة. وكما هو معروف أن أهل الزاوية يتحلقون، ويجتمعون ذاكرين الله تعالى، ومنه فاللفظ مشتقّ من الفعل انزوى.[6]

لعل أقدم تعريف لها هو ما ورد عن ابن مرزوق الخطيب (ت 781هـ = 1319م) في كتابه «المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن» في قوله: «هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين».[7] ثم ذكر أن الزاوية هي ما يعرف في المشرق بالرباط.

على أننا في دائرة المعارف الإسلامية نجد لها تعريفا شاملا: «يطلق هذا اللفظ في شمال إفريقيا على مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني: غرفة للصلاة، ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة قصرت على تلاوة القرآن، مدرسة لتحفيظ القرآن، غرفة مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، وغرف للطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم أن يدفنوا بها».

الزاوية بناية ذات طابع ديني يقيم فيها الشيخ الصوفي ويقوم بتأدية الصلاة والعبادة وتلاوة الأوراد، يخدمه متطوعون نذروا أنفسهم لخدمة الزاوية، وقد تطلق على مقر المرابط (الشيخ) في حياته وبعد مماته، أم أن يكون قد أسسها بنفسه أو بنيت على ضريحه من بعده من طرف الأتباع. [8]

ويتناول إدوارد دونفو مصطلح الزاوية فيقول: «الزاوية هي عبارة عن مكان تجمع حولها بين عشرين وثلاثين مسكنا... وأحيانا تشمل مدينة بكاملها، وهي بناية مربعة الشكل تعلوها قبة تبنى تكريما للمرابط».[9] وقد تكون مأوى للمتصوفين والفقراء.[10] ومن هذا المنطلق نرى أن الزوايا هي مراكز ومقرات لمشايخ الطرق الصوفية، قد تكون تلقى فيه الدروس للطلبة به مساكن خاصة لهم تتوفر فيه جميع الظروف المادية والعلمية، وقد تكون ملجأ للطلبة أو العلماء المغتربين يجدون فيها المأوى مجانا وكذلك للفقراء وأبناء السبيل، وقد تكون ضريح عالم أو رجل صالح، وفي سائر الحالات يوجد بها مسجد للصلاة والوعظ والإرشاد والأذكار الصوفية.

واستقر مفهوم الزاوية فيما بعد على المكان الذي يلتقي فيه المتعبدون الراغبون في الحياة بمعزل عن العالم، لكنها احتفظت إلى جنب ذلك بالوظائف التي مارستها في بداية نشأتها، كمكان يستقبل عابري السبيل وطلبة العلم. وتؤدي وظائف مختلفة.

3. 2. الضريح

جاء في لسان العرب: الضريح شق في وسط القبر، واللحد في الجانب، وقال الأزهري في ترجمة لحد الضريح والضريحة ما كان في وسطه يعني القبر، وقيل الضريح القبر كله، وقيل هو قبر بلا لحد، والضرح حفرة الضريح للميت، وضرح الضريح للميت يضرحه ضرحا: حفر له ضريحا؛ قال الأزهري سمي ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا؛[11] هذا المعنى اللغوي للكلمة أما المتعارف عليه فهو أوسع من القبر أو شق في الأرض، بل يشمل القبر وكل المكان المحيط به، سواء أكان غرفة أو بستانا، كما استعملت مصطلحات أخرى لها نفس المدلول منها:

المشهد: ويطلق على أضرحة الشهداء أو أهل البيت، المقام: المصطلح المتداول لدى الشيعة، التربة: وهو المصطلح الذي أستعمل في العصر العثماني، إضافة إلى الروضة وهو مصطلح مستنبط من الحديث النبوي الشريف الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: " إن القبر روضة من رياض الجنة أو قطعة من الجحيم " كما أطلق على المكان الذي اختاره ليدفن فيه مصطلح روضة وقال صلى الله عليه وسلم: « وضع منبري على ترعة من ترعات الجنة، ومابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»؛[12] إن هذه المصطلحات لا تستعمل لعامة الناس بل فقط لأهل البيت أو الشهداء أو ولي صالح أو إمام أو سلطان أو أمير، أي الذين يكونون محل زيارة من الناس،[13] والضريح غالبا ما يكون على شكل غرفة مربعة مغطاة بقبة، تبنى من الطوب أو الحجارة مع استعمال الزخارف الجصية على سطح القبة، ولقد استعملت القباب فوق الأضرحة بعد فترة طويلة من ظهور الإسلام لتعارض ذلك مع الأحاديث النبوية الشريفة، فقد جاء عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يعقد عليه وأن يبنى عليه».[14]

4. منهج الدراسة

تحتاج كل دراسة حقلية إلى المنهج أو المناهج الملائمة لموضوعها والنتائج التي تسعى إلى الكشف عنها، والنجاح في اختيار المنهج المناسب هو نجاح في سلوك الطريق المناسب. بناء على هذا يمكن لنا المواءمة بين العديد من الاتجاهات المنهجية في دراستنا هذه وذلك بالقدر الذي يخدم أهداف الدراسة والبحث. وهي: المنهج التاريخي؛ حيث نجد أن التغير الثقافي لا يتم إلا من خلال إعادة بناء الماضي، ولا نعني بذلك أي شيئ آخر غير تتبع المسارات التاريخية لعنصر ثقافي معين(الزاوية والمسجد)، وفي منطقة محددة (مجال إجراء الدراسة)، بمعنى أننا سنأخذ بالبعدين الزمني والمكاني لموضوع البحث والدراسة، فأهمية هذا المدخل

تتمثل في الرجوع إلى الماضي للتعرف على الخصائص الثقافية الماضية ومقارنتها بما هو قائم حاليا، أو رصد المتغيرات الحالية ومحاولة التعرف على الأوضاع السابقة التي تحمل بذور هذه المتغيرات.

إذا كنا قد أشرنا إلى أننا سنعود إلى الخصائص الثقافية الماضية للظاهرة موضوع الدراسة ومقارنتها بما هو قائم حاليا، فلا يعني ذلك أننا سنعتمد في دراستنا كلية على الوثائق المكتوبة، لأننا نجد أنفسنا حتما أمام ثقافة في كثير من جوانبها ثقافة شفوية. هنا نأخذ بقول «كلود ليفي ستروس»: «إن الإثنولوجي يهتم اهتماما خاصا بما هو غير مكتوب، لأن ما يهتم به يختلف عن كل ما يفكر الناس عادة في تثبيته على الحجر أو الورق».[15] لذلك كان لزاما علينا حسب ما يقتضيه المنهج العلمي أن نركز اهتماماتنا وبحوثنا على المحتويات الثقافية والإنسانية التي تحافظ عليها الذاكرة، إما الشخصية وإما الجماعية.

يكاد يتفق علماء الاجتماع أمثال «دوركايم» و«مارسال موس Marcel Mauss» وكبار الأنثروبولجيين «إيفانز بريتشارد Edward Evan Evans-Pritchard» على أن المقارنات التي تجرى في نطاق ضيق أكثر جدوى من تلك التي تجرى في نطاق واسع، ومهما كانت الاختلافات بين وجهات النظر بالنسبة لاستخدام الاتجاه المقارن في الأنثروبولوجيا فإنه من الممكن القول بأنها تدور حول محاور ثلاث هي: أولا نوع الوحدات التي تجرى المقارنة بينها، وثانيا الهدف من إجراء هذه المقارنة، وثالثا الكيفية التي تتم بها المقارنة، فمن الناحية الأولى يمكن لنا إجراء المقارنة بين الزوايا والمساجد في مجال (الزيبان والأوراس) من جهة ومقارنة عمارتها ووظيفتها في الماضي والحاضر من جهة أخرى.

وبالنسبة للهدف الثاني من المقارنة فنرى أنه لا يمكن لنا التنقيب عن أي شيء آخر سوى توضيح التطور التاريخي لهذا العنصر الثقافي ومحاولة الكشف عن الجوانب الفنية وخلفياتها الثقافية لعمارة الزوايا والمساجد، ثم محاولة تتبع التغيرات التي طرأت على الظاهرة موضوع الدراسة من الناحية الوظيفية.

وبالنسبة لأسلوب المقارنة نلاحظ أن كثيرا من الدراسات تقوم المقارنة فيها على أساس ذكر الشواهد التي تؤيد القضايا التي يوردها الباحث في معالجته للموضوع، غير أننا نرى أنه من الأجدى الأخذ بما يستلزمه نطاق البحث، فهو يستلزم منا المقارنة بين العنصر الثقافي الذي هو مدار البحث والدراسة في مجتمع الزيبان ومجتمع الأوراس.

ويهتم المنهج الوظيفي في الأنثروبولوجيا بالتعرف على مدى التشابك والتفاعل القائم بين النظم التي تؤلف حياة المجتمع ككل ونصيب كل نظام منها في المحافظة على تماسك ذلك المجتمع واستمرار وحدته وكيانه. فهذا المنهج يمكننا من معرفة كيف تعمل الشعائر والطقوس والأساطير الدينية على تماسك المجتمع واستمراره، وكيف تعطي للمشاعر والعواطف فرصة التعبير الجماعي دعما لهذا التماسك. كما يمكن لنا أيضا معرفة كيف تربط بعض النظم الثقافية (الاحتفالات) بين الجماعات البشرية في مجال الدراسة في حلقة من عمليات التبادل تحاط بجو شعائري وطقوسي.

كان لنظرية «تأويل الثقافات» التي عرضها غيرتز في كتابه وقع كبير في عالم الفكر وفي حقل الأنثروبولوجيا والدراسات التراثية على وجه الخصوص. هذا المنهج اعتمده غيرتز في ملاحظاته ومراقباته في عمله الميدانيّ في إندونيسيا والمغرب في شكل أساس. فالنظر في الأبعاد المميّزة للعمل الاجتماعيّ – سواء كان فنّاً أو ديناً أو عقيدة أو علماً أو قانوناً – يعني عدم إشاحة النظر عن الإشكالات الوجودية في الحياة لمصلحة أشكال جامدة في العلم، بل هي الغوص في لجّة هذه الإشكالات لتفسيرها وتحليلها من الداخل. وبهذا تكون مهمّة الأنثروبولوجيّ التأويليّ ليس تقديم إجاباته عن الأسئلة العميقة في الوجود، بل في تقديم الإجابات التي قدّمها الآخرون في ثقافات أخرى عن هذه الأسئلة.

5. الظروف التاريخية لتأسيس مساجد الزوايا والأضرحة بالزيبان والأوراس

لا توجد بين أيدينا مصادر أدبية أو أثرية تحدد لنا تاريخ تأسيسه، ولكن البكري قال: «...وقبر عقبة معروف بمدينة تهودا..»،[16] وقال الورتلاني: «ثم دخلنا لزيارته مع جملة وافرة من أصحابنا اصفرارا وقبره (أي عقبة) بالبسيط الذي تحت جبل أوراس الذي قتل به وهو مشهور يزار وعليه مسجد عجيب وحوله قرية جميلة في وسط هذا البسيط وفي مسجده مئذنة كبيرة عظيمة متقنة البناء وفي أعلاها عمود... وفي حجة سنة 96 طلع إليها بعض أصحابنا كالقاضي سيدي أحمد بن إبراهيم المراكشي، والفقيه سيدي عبد الله بن إبراهيم السلالي إمام مسجد طلحة وسيدي محمد ابن العزيز السرموكي...وكذلك الإمام شيخنا سيدي عبد الله العياشي... وغالب من دخل المسجد من الحجاج يكتب خطه على أساطين المسجد وحيطانه ويكتب اسمه...».[17] وهكذا اكتفى الرحالة والمؤرخون بالإشارة إليه دون البحث عن تاريخ تشييده.[18]وليس مسجد سيدي عقبة هو أقدم مسجد في إفريقية كم ذكر لبون(Le Bon)،[19]بل هناك ما هو أقدم منه كجامع القيروان الذي بناه عقبة بن نافع بنفسه بعد توليته على إفريقية سنة 50 هـ/670م.

وحتى المصادر الأثرية لا تعطينا فكرة واضحة عن تاريخ تأسيس مسجد سيدي عقبة، حيث لم ينقش أي تاريخ على شاهد القبر المرصعة على جدار الضريح، والتي أوردها عدد من المؤرخين والباحثين في مؤلفاتهم.[20] ونوقشت هذه الكتابة على الحجر بحروف كوفية، نصها: «هذا قبر عقبة بن نافع

رحمه الله».

هكذا وفي خضم تضارب آراء وتحليلات المؤرخين، فإن المنطق العلمي واستقراء الحوادث التاريخية يفرض علينا أن نأخذ برأي حسين مؤنس الذي يقول عن مسجد سيدي عقبة ما مضمونه: «لا نزاع في أن هذا المسجد يعتبر أقدم مساجد المغرب بعد مسجد القيروان، فالراجح أنه نشأ أول الأمر ضريحا – أو روضة – في الموضع الذي استشهد فيه هذا الصحابي».[21]

هذا عن بعض النماذج الأثرية بالزيبان. أما المساجد الأثرية التابعة للزوايا والأضرحة المتواجدة بالأوراس، فلا تتوفر لدينا معلومات تاريخية مضبوطة عن تاريخ بنائها او تأسيسها. فمثلا زاوية سيدي عبد السلام حفيد القطب مولاي سيدي عبد السلام المشيشي، لم نعثر في مختلف مراكز على كتابات تاريخية حولها سواء في العهد التركي أو في العهد الاستعماري ولا في عهد الاستقلال رغم السمعة التي تتمتع بها في الأوراس والزيبان. هناك أمران يمكن لنا الاستناد عليهما لتحديد ولو بصورة تقريبية تاريخ بناء الزاوية. الأمر الأول هو ما وجدناه مكتوبا في محراب مسجد سيدي عبد السلام بدشرة تكوت (تكوت القديمة)، حيث كتبت العبارة التالية: على يمين المحراب بسم الله الرحمن الرحيم وعلى يساره سيدي عبد السلام عام 1214هـ حوالي 1799 ميلادي. أما عن الأمر الثاني فيتمثل في تاريخ ظهور الطرق الصوفي في الجزائر، إذ بدأت تظهر منذ بداية القرن السادس عشر، وأخذت تنمو وتتسع حتى انتشرت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر.[22]

لقد تم تأسيس زاوية بمنطقة تكوت كانت منارة علمية مشعة اتخذت منها الطريقة الشاذلية مقرا لها تنظم به لقاءاتها وتستقطب أتباعها، والدال على ذلك تأسيس مسجد في شكل جامعة يسمى «مسجد سيدي عمر بن عبد السلام» تعاقب على التدريس به مجموعة من المشايخ والأئمة.

كما تعد زاوية بني عباس بمدينة منعة من أوائل الزوايا التي ظهرت بالجزائر أوائل العهد العثماني حسب بعض الروايات التاريخية، وذلك حين قدم الشيخ محمد بن سيدي ابراهيم بن موسى من نواحي الساقية الحمراء، ليحط رحاله في قرية منعة بالأوراس. وتذكر نفس الروايات أن الشيخ محمد بن موسى ينتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية المعروفة. وتضيف بعض الروايات إلى أن سيدي إبراهيم صاحب الضريح الموجود عند مدخل مدينة آريس يكون من أبناء الشيخ عبد القادر الجيلاني.[23]

سعي الأتراك بكل جهدهم للحصول على مباركة وتأييد شيوخ الزوايا ومرابطي الطرق الصوفية، نظرا لمكانتهم ونفوذهم في وسط السكان عن طريق منحهم الامتيازات والهدايا والإقطاعات لهؤلاء ليكونوا واسطة بينهم وبين الأهالي الذين يكنون لهم الاحترام والتقدير لما كانوا يقومون به من خدمات اجتماعية وثقافية، كالتوسط في النزاعات وإقرار أحكام الشريعة الإسلامية والقيام بشؤون العبادات والتعليم، وفي مقابل ذلك كان هؤلاء المرابطين يحرصون على تقديم خدمات للإدارة التركية، مثل ما تقوم به زاوية بني عباس بمنعة التي تقوم بتأمين الطريق عبر مضائق وادي عبدي حتى تتمكن الحامية التركية في بسكرة من تجديد أفرادها بعد انتهاء مدة الخدمة العسكرية.[24]

بهذا تكون عوامل انتشار الطرق الصوفي والزوايا في منطقة الأوراس قد توفرت، خاصة في القرن الخامس عشر والسادس عشر ميلادي، أين انتشرت الفوضى والاعتداءات في منطقة الأوراس على المسافرين والقوافل التجارية وكذا الحجاج، بسبب الفراغ الإداري في المغرب الأوسط بعد الاحتلال الاسباني لثغور شمال الجزائري. ووصلت الشكاوي إلى حكام الأتراك ضد سكان الأوراس خاصة قبيلة النمامشة، لذلك لجأ الأتراك إلى البحث أساليب بسط السيطرة على المناطق الداخلية خاصة منطقة الأوراس، فأسسوا الحاميات العسكرية في المدن القريبة من الأوراس مثل تبسة وبسكرة، كما لجأ الأتراك إلى تنصيب قبائل المخزن لمراقبة السكان مثل عشيرة الزمول التي تكلفت بحماية طريق بسكرة وعشيرة لعشاش في خنشلة، وعشيرة بن دايخة في أولاد سلطان، وقاموا بتدعيم المشيخات الوراثية المتعاملة مع البايلك مثل أولاد بوعزيز في منطقة بلزمة، وأولاد عبدي في منطقة منعة، وأولاد بوضياف في الأوراس وأولاد بلقاسم في شيليا وابن قانة بمنطقة الزيبان.[25] فهذا السند التاريخي يكشف لنا أن زاوية بني عباس بمنعة تعتبر أول زاوية قادرية تظهر بالجزائر حسب أكتاف ديبون OCTAVE DUPONT في كتابه (الطرق الدينية في الجزائر)، فلعبد القادر الجيلاني أخ يدعى إبراهيم هاجر إلى المغرب، وبعد ذلك اتجه إلى الأوراس لنشر تعاليم هذه الطريقة، قد يكون هو الذي بنا هذه الزاوية أو أحفاده من بعده الذين أداموا نشر مذهبه وتعاليمه التطبيقية.[26] كان انتقال هؤلاء إلى المغرب أواخر القرن التاسع وبداية القرن العاشر للهجرة، وبعد ذلك انتقل بعضهم إلى الشرق الجزائري ليستقروا بالأوراس، منهم الشيخ محمد بن إبراهيم بن موسى الذي أسس زاوية قادرية ببلدة منعة.[27] كانت أسرة بني عباس هي المشرفة على هذه الزاوية وعلى الطريقة الصوفية، ونسب هذه الأسرة ينتهي إلى الشيخ إبراهيم حسب التسلسل التالي: محمد الصغير بن علي بن محمد بن بلعباس بن بوبكر بن محمد بن أحمد بن عمر ب بلقاسم بن عبد الرزاق بن علي بن عبد الرحمان بن داوود بن إدريس بن ابراهيم بن عبد القادر الجيلاني.[28] وقد اعتبر "دوبون" هذه الزاوية تذكار حي للمرابطين ومعلم إسلامي للمغرب في بلاد البربر، إذ بينت كيف كان إيمان الصوفيين في العالم الإسلامي بواسطة هذه الطريقة، فهم يغرسون في طريقهم البذرة التي لا تمحى لمذهبه،[29] أي مذهب عبد القادر الجيلاني.

6. التحولات الوظيفية لمساجد الزوايا والأضرحة في الزيبان والأوراس

الزاوية مؤسسة دينية تمارس فيها العبادات من صلاة وتلاوة القرآن والأذكار ومن اعتكاف ومدارسة للعلوم، فهنالك تلازم عميق وترابط وثيق بين الزاوية ووظيفتها الدينية والعلمية، إذ تنطلق من تربية روحية ومعرفية في آن واحد وتستهدف في المريد أن يقوي إيمانه بالله تعالى ويتعلم شرع الله، فالزاوية لم تفصل بين رسالتها الدينية ومهمتها العلمية، بل جعلت من المهتمين معا صورة واحدة للإسلام الصحيح الذي لا يقبل التجزئة أو الفصل بين الإيمان والعلم والعمل.

لقد أدت التحولات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية إلى أفول نجم بعض الزوايا أو انحصار دورها مثل ما نجد في الأوراس على وجه الخصوص وفي الزاب الشرقي بدرجة أقل، حيث لم يعد لبعض الزوايا دور تقوم به، أو وظيفة من الوظائف التي كانت تؤديها في الماضي القريب. وقد وجدنا من خلال المعاينة الميدانية أن المساجد التابعة لها أو المتواجدة في فضائها هي التي تؤدي أدوار الزوايا التي أصبحت من التاريخ وتقوم بوظائفها.من بين هذه الأدوار والوظائف التي تقوم بها تحفيظ القرآن الكريم لمن يرتاد هذه المساجد من أطفال ومريدين وطلبة، إذا كان الأطفال يبدؤون في سن مبكر بحفظ الحروف الهجائية يحفظون فاتحة الكتاب فسورة الناس، فسورة الفلق، ولا يزالون يوالون حفظ سور القرآن الكريم.كما تمثلت عناية المدارس القرآنية المتواجدة بهذه المساجد بالقرآن الكريم في دراسة القراءات القرآنية وتعليم الرسم القرآني،وهكذا يحفظ المريد والطالب القرآن كتابة، رسما وضبطا ويحفظ القراءات وقواعد التجويد، ثم يشرع في دراسة تفسير معاني القرآن الكريم، مستعينا في ذلك بما يحفظه من متون كالأجرومية والألفية،كما يدرس أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها من علوم القرآن. ومن الزوايا التي لا زالت تقوم بهذا الدور على أحسن وجه زاوية علي بن عمر بطولقة[30] التي تعد ركنا قويا في نشر العلم.[31]

كانت بعض المساجد كمسجد سيدي عقبة تقوم بتدريس الفقه المالكي ويتم التدرج بالمريد والطالب في دراسة المسائل الفقهية من خلال الموطأ وشروحه والبيان والتحصيل والمقدمات وغيرها من الأمهات، وفي الوقت الحاضر بني معهد بجانب المسجد يقوم بكل هذه الوظائفالتي كان المسجد العتيق يقوم بها، كما يتولى وظيفة تكوين الأئمة والخطباء بالمنطقة والمناطق المجاورة كالأوراس والزيبان.

قامت زوايا الزيبان والأوراس بدور مهم في المجال الثقافي، ولعل من أبرز الشواهد على هذا المستوى ما خلفته هذه الزوايا في مختلف العصور من مكتبات زاخرة بتراث نفيس نادرا لا نجد مثيله في المكتبات العالمية. ثم إن حجم هذه المكتبات وقيمة محتوياتها تختلف من زاوية إلى أخرى، وتتفاوت بين الزاوية الأم والزاوية الفرعية ولكن الشيء الملاحظ هو أن الزاوية مهما كان حجمها أو مكانتها، لا تكاد تخلو من خزانة للكتب ،وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على ارتباط الممارسة الصوفية بالعلوم الشرعية ارتباطا وثيقا. فعندما زرنا زوايا الزيبان والأوراس وجدناها تزخر بمكتبات تحتوي رفوفها على كتب ومخطوطات نفيسة بقيت مطوية مليئة بالغبار في بعض الزوايا بسبب الإهمال، مثل ما وجدنا في زاوية الشيخ صالحي بآريس، وبالعض الآخر قام القيمون على المساجد بترتيبها وتنظيمها ووضعها في متناول الباحثين والطلبة مثل ما نجد في زاوية طولقة والزاوية القادرية ببسكرة.

حاليا أصبحت المساجد هي التي تقوم بتثقيف المجتمعات المحلية، من خلال دروس المناسبات الدينية وخطبتي صلاة الجمعة. لكن التأليف والكتابة التي كانت سائدة في فضاءات الزوايا، لم تعد موجودة على الإطلاق، اللهم ما تقوم به الزاوية القاسمية بالهامل ناحية بوسعادة، حيث أخذت على عاتقها مهمة طبع المخطوطات التي تزخر بها مكتباتها ووضعت لهذه المخطوطات فهرسا خاصا،[32] فدورها لا يتعدى الجمع والطبع.

كان المسجد ولا يزال يقوم بوظائف سامية في المجتمع الجزائري خاصة وفي العالم الإسلامي عامة، وهاته الوظائف لم تقتصر على المجال التعبدي فقط، بل تعدى ذلك إلى القيام بالوظائف الاجتماعية التي اشتهرت الزوايا بها في الماضي في البلاد المغاربية عموما ومجال الدراسة خصوصا، بإسهامها الكبير في التكافل الاجتماعي بمختلف أنواعه ونورد هنا بعض مظاهره كالمساعدة على الإيواء وإطعام الطعام وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد اللطيف الشاذلي موضحا دور الزاوية في هذا المجال :«تمثل عمليات الإيواء والإطعام عنصرا أساسيا في الجهاز الصوفي ونخرج من قراءة نص التشوف بانطباع واضح قوامه أن حركة الصلحاء بشكل كبير وبأعداد كثيرة ومظاهر تلك الحركة متنوعة كانتقال القروي إلى المدينة أو انتقال الحضري من مدينة إلى مدينة فلو لم يكن الأمن فيه قائما ولا الاستقرار دائما ما كانت لتتم البنية الاستقبالية التي تهيء نظام الإيواء والإطعام المرتبط بجهاز التصوف وهو نظام تطوعي تكافلي مبني على التعامل بالمثل بكيفية توفر لكل مسافر من الصوفية إمكانية الاستفادة من بنية استقبال في أي مكان ذهب إليه».[33] هاته الوظائف أصبحت بعض المساجد هي التي تقوم بها عن طريق تقسيم بعض الصدقات على مستحقيها في بعض المناسبات كالأعياد، حيث يتم توزيع بعض المواد الغذائية على المعوزين عن طريق إمام المسجد أو القيمين عليه، وقد تكون هذه الصدقات أموال يتصدق بها الأغنياء في مناسبات أخرى مثل الدخول المدرسي حيث يتم تقسيمها على مستحقيها، أو القيام بشراء الأدوات المدرسية اللازمة والضرورية وإرسالها في محافظ إلى من يتم تحديدهم عن طريق اللجنة الدينية للمسجد.[34]

شكل 1

عنوان الشكل: وظائف الزاوية في الماضي أصبح المسجد يقوم بجزء منها

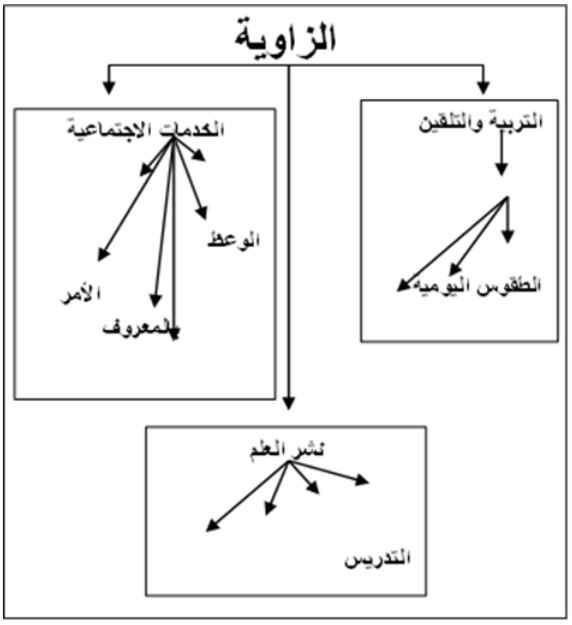

المصدر: محمد ضريف، مؤسسة الزوايا، المجلة المغربية لعلم الإجتماع السياسي، الطبعة الأولى، فاس- المغرب، سنة 1992.

2.6 وظيفة الصلح والتحكيم والوساطة في مساجد الزوايا

ينتمي أئمة وخطباء مساجد الزوايا والأضرحة أو القيمون عليها إلى الأسر التي لها انتماء إلى هذا الولي أو ذاك، كما تحتفظ الكثير من هذه الأسر بشجرة نسبها التي تجعل منها أسرة شريفة أو أسرة مرابطية. ومن الوظائف الأساسية التي اضطلع بها هؤلاء الأئمة سواء في الماضي القريب وظيفة التحكيم الوظيفة التي كان يقوم بها الأولياء في فضاء الزاوية، والتي لم تكن أقل أهمية من باقي الوظائف السالفة، بل لعل أكثرها حساسية وأفيدها لسلطة الزاوية. فقد مكنت سمات الولي الصالح والإمام الذي ينحدر من أسرة شريفة أو مرابطية، كما مكنهما وضعهما الاعتباري من جعلهما وسطاء مقبولين وحكاما ترتضي لوساطتهم كل الأطراف، بل كان عامل وفاق وفصل في كل ما كان ينشأ من نزاعات أو خلافات قبلية حول الممتلكات و المراعي في الماضي أو خلافات سياسية وتقسيم المواريث حاليا، أضف إلى ذلك الكثير من الخلافات الاجتماعية التي لعب هؤلاء دورا كبيرا في فضها وفق ما يستلزمه الشرع. «يتميز الشريف المحلي بكونه شخصا مسالما في جميع الأحوال والظروف، فهو بقدر ما يتجنب العنف، بقدر ما يزداد احترام الناس له، فهو لا يمتلك سلطة مسلحة، وتأثيره ناتج عن نفوذه الروحي».[35] هذا الطابع السلمي هو الذي يخول الشريف المحلي القدرة على القيام بدور الوساطة والتحكيم، ونجاحه في القيام بالوساطة ما هو إلا دليل على «البركة».[36] فالبركة على حد قول الأستاذ محمد ضريف في كتابه (مؤسسة الزوايا بالمغرب) عندما تتجسد في شخص "الشريف المحلي" هي قوة روحية خارقة، تخوله القدرة على تغيير الكائنات والأشياء وتحقيق المعجزات.[37]

يقول الأستاذ محمد المازوني في مقال له نشر على موقع الأستاذ محمد عابد الجابري متحدثا فيه عن وظائف الزوايا في المغرب: «تقوم وظيفة التحكيم على مبدأ المسالمة، الذي ميز نشاط الولي وقناعة المتنازعين في الاعتراف له بهذه الصفة. وهي الصفة التي منحته قدرا كبيرا من الجرأة التي رأى فيها الكثير نوعا من المكاشفة في أمور الدنيا، وهو ما يزكي في الغالب رأيه ويجعل كل الأطراف تقبل وترضى بأحكامه. وهي في منظورأصحابها كرامات ظاهرة تسهل حل ما استعصى حله بطرق سلمية وبحكمة ربانية، وهو ما يمثل عنوان بركة الولي الخفية ومفتاح توفيقه».[38]

من أهم الوظائف التي يقوم بها أئمة المساجد المتواجدة في هذه الفضاءات: الصلح والتحكيم والوساطة، فهم يقومون بدور التحكيم للفصل في بعض المشاكل والخلافات بين الأفراد وبين الجماعات المحيطة بالمناطق المتواجدين بها أو يأتون إليهم من مناطق أخرى، نظرا لما يرمز إليه الولي الصالح أو الإمام الذي يطلق عليه في الثقافة الشعبية اسم (الشيخ)[39]من تجسيد للحقيقة والحق والعدالة الدنيوية والأخروية. ويتدرج عمل الولي و الإمام الشيخ في هذا المجال من التوسط لتحقيق الصلح بين الأفراد إلى دور التوسط بين القبائل لحل مشاكلهم مع بعضهم البعض أو بين بعضهم مع ممثلي السلطة.[40]

لم ينحصر الدور التحكيمي لهؤلاء في قضايا الأرض والعرض والشرف والقتل والديات، بل شمل كذلك أمور العلم والفقه وأحيانا العلوم الشرعية، على قلة علم الكثير منهم ذلك أن مستواهم التعليمي متواضع. ولم يكن هذا الأمر سبيلا للطعن في دورهم الذي لا يستهان به، فالكثير منهم يتميز بغزارة العلم والإحاطة بعلوم الدين إحاطة تامة ووافية، نذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر الشيخ عبدالقادر عثماني[41] شيخ الزاوية العثمانية بطولقة، المرحوم الشيخ عبد المجيد بن حبه [42]ببلدة سيدي عقبة بالزيبان، والمرحوم رحماني الصادق ببلدة تكوت، والإمام الجليل الشيخ محمد علاوي ببلدة إينوغيسن بالأوراس. هؤلاء كلهم لهم باع طويل في والوساطة والتحكيم والصلح بين الناس، الأمر الذي جعل الناس يتعلقون بهم ويحنون إليهم.

بالرجوع إلى دراسات الانتروبولوجيين نلاحظ أن وظيفة التحكيم كانت إحدى القضايا التي استوقفت نظرهم في وظائف الولي الصالح والأئمة الذين يشتغلون في هذه الفضاءات الدينية، مما جعلهم يعملون على تشخيصها وضبط آلياتها إلى حد اعتبارها الوظيفة الأكثر فاعلية في أدوار الزاوية، باعتبار أثرها السياسي والمكاسب المترتبة عليه لفائدة الزاوية.[43]

إن تحكيم المرابط والولي الصالح في السابق، وبعض الشرفاء والأئمة النزهاء المشهود لهم بالعلم والمعرفة، يعتبر شيئا

مألوفا في المجتمع المحلي القائم على قاعدة التمايز القبلي بسبب مكانة المرابط والشريف والولي سابقا، ومكانة الشيخ أو الإمام أو بعض الأعيان المتشبعون بالثقافة الدينية ضمن الهرم الاجتماعي العام، وعدم ارتباط المرابط والولي الصالح ذوي النسب الشريف في الماضي، ونزاهة الذين تولوا مهمة التحكيم والصلح والوساطة حاليا أو بالأمس القريب مجموعة قبلية بعينها، كما أن دور كل هؤلاء كان مرغوبا فيه وإلى اليوم من طرف كل مكونات هذا المجتمع.

بالرجوع دائما لـ: (النظرية الانقسامية)[44] كما يرى الكثير من الباحثين الذين تناول المكونات الدينية لمجتمعات المغرب العربي، خاصة الباحثين المحليين مثل الباحث المغربي محمد المازوني: «نستشف البعد النمطي في النظر للدور التحكيمي للأولياء، ذلك أن توازن العنف وما تفرضه وظيفة التحكيم التي يقوم بها الصلحاء من الاعتدال، هما العاملان الضامنان للنظام داخل المجتمع الانقسامي ولقدر من الأمن والاستقرار مما يجعل من هذه الوظيفة مكونا ضروريا في مجتمع تنعدم فيه التراتبية وتقسيم العمل. كما أن نظام هذا المجتمع الرئاسي ظل ضعيفا، وبالتالي تعمل هذه البنية الانقسامية ونفوذ الصلحاء على الحد من سلطة رئيس القبيلة».[45]

إن وجود الولي الصالح والعالم الفقيه والإمام التقي في منأى عن النزاعات الانقسامية يجعلهم ضامنين لاستمرارية مجتمع مهدد بالانفجار من جراء تلك النزاعات، كما يمثل هؤلاء صلة وصل بين القبائل والجماعة الإسلامية. ووفق نفس النظرة، فإن الأولياء هم الذين يضمنون الاستقرار داخل بنية غير مستقرة ويمتصون مخزون اللامساواة الكامن لدى فئات العوام.

ارتبطت وظيفة التحكيم في بعض صورها بقاعدة حرم الزاوية، حيث كانت الزوايا في الكثير من منطقة الدراسة خاصة الأوراس تمثل مراكز آمنة لتشييد المخازن الجماعية[47] وعقد الأسواق الأسبوعية[47] ومرور المسالك التجارية،[48] وهي الوضعية التي أهلتها لتبوء مركز وسط بين القبائل وامتلاك سلطة معنوية لفض النزاعات المحلية أو ذات الطبيعة التجارية. كما كانت تسهر على ضمان حركة التنقل بين مجالات الرحل والمستقرين، وكثيرا ما اتخذت بعض مواقعها نقاط تماس جغرافي بين الكتل القبلية. وقد جلبت هذه الأدوار للزاوية سمعة واحتراما، وباعتبارها من الأدوار التي كانت تدخل في إطار التوازن العام للمجتمع، فقد تمت مكافأتها على ذلك لكونها لم تكن تمارس مهمة التحكيم والوساطة بالمجان.

3.6. المجال المقدس لرمزية مساجد الزوايا والأضرحة

أدت وظيفة التحكيم والصلح والوساطة التي يقوم بها الأولياء الصالحين وبعض الشيوخ والأئمة الذين ذاع صيتهم وتلألأ نجمهم في الزيبان والأوراس إلى تشكل سلطة رمزية عبر الزمن، وبالموازاة مع ذلك تشكل ما يسمى بحرم أو المجال المقدس للفضاء الذي يتواجد فيه المسجد. قد يكون هذا الفضاء زاوية من الزوايا بها مسجد يصلي فيه الطلبة الذين يزاولون دراستهم بها، أو مساجد الأضرحة وهي كثيرة، إذ أنك لا تجد بالتقريب قرية أو مدشرا لا يتواجد بها مقام أو ضريح ولي من الأولياء أو فاتح من الفاتحين مثل ما نجد في بلدة سيدي عقبة بالزاب الشرقي.

لقد تبين لنا من خلال الدراسة الحقلية، ومن خلال استقراء الروايات التي احتفظت بها الذاكرة الجماعية للجماعات المحلية أن مجال المساجد التي تتواجد في فضاء الزوايا أو التي بنيت على قبور الأولياء، ظل مجالا حرما وملاذا لكل معتصم مهما كانت دواعي التجائه أو اعتصامه حتى وإن كان جانيا أو مجنيا عليه. كما آوت الزاوية بحرمها أمن الناس "تجاه كل صروف الخطر أو الخوف أو الجور، مهما كانت مصادرها: تجاه الطبيعة والجارح من الحيوان أو البشر. لكن أكثر أنواع الحماية وأشدها أثرا في الناس هي تلك التي تضع بين الفرد وبين السلطة حجابا".[49]

والمجال المقدس أو الحرم في عرف الزوايا لا يقتصر على ضريح الولي، بل شمل كل حدود الزاوية وأحيانا مجالات نفوذها وممتلكاتها في الماضي، أما في الحاضر فيشمل كل الأوقاف التابعة للمساجد المتواجدة فيها أو في محيطها إذا كانت هذه الأوقاف أملاك عقارية كالأراضي الفلاحية وبعض المحلات خاصة المساجد المتواجدة في الحواضر. إذا كان نظر شيوخ الزوايا لمسألة الحرم يعتبر من مكوناتها المقدسة، والتي لا يجب خرقها، فإن للدولة في الحاضر مبرراتهما لفحص هذه النظرة وأحيانا لتصحيح مدلولاتها الشرعية والسياسية كذلك. وعلى اعتبار أن المجتمعات المغاربية تخضع لنفس المؤثرات الثقافية، وتشكل ظاهرة انتشار الزوايا والطرق الصوفية وأضرحة الأولياء الظاهرة التي تميز هذه المجتمعات عن غيرها من مجتمعات العالم الإسلامي، يورد لنا الأستاذ أحمد التوفيق في مساهمته عن دراسة المجتمع المغربي مثالا عن رؤية المخزن لحرم الزاوية أو مجالها المقدس. فهو يقول في الصدد: «فالمولى سليمان، وفي رسالة إلى سيدي علي بن أحمد الحسني الوزاني، نبه إلى أن المغزى من حرم الزاوية والمقصد منه"(...) أني إنما أردت لمن يكون بزاوية وزان واقف مع الشرع المطاع، ويكون كالشهاب يحميها من الشياطين (...) لا فارا بخربة أو محدثا يأوي لتلك البقعة الطاهرة (...) وحقيقة الزاوية أن يلجأ إليها كل هارب إلى الله من ظالم، وليست مهربا للظالمين". ومثل هذا التنبيه غالبا ما كان مسوغا شرعيا لدحض حرم بعض الزوايا، وفي مناسبات كثيرة اخترقت السلطة هذا الحرم، خصوصا في حالات المنازعات...».[50]

رغم ذلك ظلت الزاوية تحتفظ لنفسها بهذا الحق المكتسب حتى بين الأمراء المتنازعين، حيث آوت الكثير من أدعياء العرش أو الثائرين من الأمراء. واستثمرت على طول الوقت حمايتها لتقوية نفوذها بالتشديد في الحرص على جعل الحرم من مهامها الأساسية. وبفعل هذا الحرص رأى بعض المؤرخين

أن مسألة حرم الزاوية شكلت واحدة من أهم وظائف الجهاز الصوفي وأكثرها خطرا، بل تبقى في نظرهم رمزا لممارسة الزاوية لسلطة تنظيمية واضحة، خصوصا وأن هذه الممارسة استوجبت بحسب دور الحماية تنظيما محكما، عبرت عنه التشريعات الرسمية نفسها، التي ألزمت بتمكين الزاوية من تلك الوظيفة على الأقل لكونها كانت تخدم دور السلطة في الكثير من المنازعات عبر توفير ظهائر التوفير والاحترام، وما كان يترتب على اكتسابها من نفوذ وتمثل لسلطة فعلية في نطاق الزاوية.[51]

4.6. من العبادة بالمسجد إلى التبرك بضريح الولي الصالح

تنتشر ظاهرة مواسم الزوايا أو مواسم الولاة الصالحين في شمال إفريقيا بصورة ملفتة للانتباه، وغدت بذلك ظاهرة ثقافية واجتماعية ممكنة الدراسة، حيت يكون هناك موسم[52] لكل ولي "صالح" كان قد عاش حقبة زمنية محدّدة تاركا بعد موتّه عملا صالحا يُشهد له جيلا بعد جيل، و تنسب له بعض الأمور مثل جلب البركة أو الشفاءِ من بعض الأمراضِ التي استعصى علاجها على أمهر الأطباء، و غير ذلك... تقام هذه المواسم بشكل سنوي و في فترة محدّدة ويرأسها أناس يطلقون على أنفسهم اسم الشرفاء وهم من يتولون تنظيم هذه المواسم.

لا تشذ منطقة الدراسة التي نقوم بها –الزيبان والأوراس- عن غيرها من مناطق المغرب العربي. إذ تنتشر فيها الكثير من المساجد التابعة للزوايا المتضمنة لقبور الأولياء وشيوخ الزوايا، كما تتوزع عبر السهول والجبال والمناطق الصحراوية قباب كثيرة يرقد تحتها أولياء جاءوا من مناطق مختلفة وفي ظروف تاريخية خاصة استقروا هنا أو هناك، وبعد وفاتهم بنيت على قبورهم هذه القباب، ثم بنيت بجنبها بعد ذلك مصليات تضاهي المساجد مثل ما نجد في سيدي خالد، حيث بني بجنب ضريحه مصلى واسع بكل مرافقه التي تسع لاستقبال زواره الذين يأتون من كل حدب وصوب للاحتفال بليلة القدر في شهر رمضان كل سنة. ومن أمثلة المواسم التي يحتفل الناس بها ويزورون ضريح الولي الصالح في الماضي، وبصورة تكاد تنعدم حاليا، موسم عيد الخريف بمنطقة تكوت بالأورس، الموسم الذي يقام في حرم الولي الصالح سيدي عبد السلام المشيشي.[53]

إذا حاولنا الكشف عن دلالات الزيارة كما يقول الباحث التونسي محمد لحول في مقال بعنوان (الزوايا والطرق الصوفية في البلاد التونيسية –منطقة دوز عينة، فإنها تكشف عن دلالتين: الأولى يسميها دلالة الانتماء، والأخرى دلالة الانزياح. سواء تناولنا الدلالة الأولى أو الثانية لا يمكن لنا الفصل من خلالهما بين البعدين الديني والاجتماعي، فالعلاقة بينهما متينة وثابتة.[54]

ففيما يخص دلالة الانتماء يفسر الزائرون للأضرحة والزوايا ما يقومون به على انه تأكيد للإيمان الحقيقي، فهم يدرجون سلوكهم ضمن الإسلام "النص"، ويستشهدون بالآية الكريمة التي يقول فيها الله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[55] ويدللون بالتفسيرات التي تؤكد على أن زيارة قبور وأضرحة الأولياء والشهداء والعلماء وقبور سائر المؤمنين مأذون فيها ومرخص بها ومدعو إليها لكل من شاء من عباد الله لدخولها جميعا في عموم الأمر النبوي الشريف: «نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكر الآخرة».[56]

تستقطب الأضرحة الطقوس الاحتفالية التي تنظمها الشرائح في المناسبات الاجتماعية والدينية، فيتحول المزار إلى مجال فستيفالي تشتغل في نطاقه ممارسات غنائية ومشاهد حركية، تجمع بين ما هو فردي وما هو جماعي، ويلتقي فيه الفعل السمعي بالفعل البصري، إضافة إلى إشراك حاسة الذوق (الطعام، المشروبات)، والشم (الطيب، البخور، ماء الورد والزهر المقطر..)

ويأخذ الاحتفال بالضريح منعرجات متباينة تشتق وجاهتها من الأهمية المعطاة للحفل ذاته، ويأتي في طليعة هذه الاحتفالات احتفال السادس والعشرين من رضمان كل سنة بضريح "النبي سيدي خالد" كما يعبر عنه لدى السكان المحليين، هذا الاحتفال الذي سيأتي الحديث مفصلا عنه في الفصل الثامن من هذا العمل. واحتفال المولد النبوي الشريف الذي اضطلعت الزاوية العثمانية بطولقة بإحيائه كل سنة أيضا، والذي سيفصل في الحديث أيضا في الفصول اللاحقة واحتفال عيد الخريف في حرم الولي سيدي عبد السلام المشيشي بتكوت. هذه الاحتفالات تحمل في أحشائها كما يرى الأستاذ المغربي عبد الإله لغزاوي في كتابه «مونوغرافية المقدس بمدينة مكناس» دلالات عميقة رمزية، لأنها تشكل الفضاء الزمني القدسي لتجديد العهد مع الأضرحة والقباب والمزارات المحترمة.[57] فهذه الأمكنة التي تزار بخشوع ترتدي حلة سيراء من الجمال والبهاء، إذ يخف النظار إلى تجديد فراشها وتزويدها بالإنارة الكافية فتصبح فتنة للناظرين، ويؤمها الزوار من كل فج عميق، مصلين بها، ومترحمين على الموتى المدفونين في تربتها، وموقدين الشموع، ومطعمين الطعام، ومنكبين على تلاوة القرآن، يظهر ذلك بجلاء في جميع الأضرحة والمزارات التي تتواجد بالزيبان والأوراس حسب الروايات التي تحتفظ بها الذاكرة الجماعية، ويظهر ذلك بجلاء أيضا من خلال الاحتفالات التي لازالت تقام في الأضرحة التي احتفظت بحيويتها ونشاطها إلى يومنا هذا في الزيبان خاصة، كضريح سيدي أمحمد بن موسى بالحوش، ضريح خالد بن سنان العبسي بسيدي خالد، الزاوية العثمانية بطولقة، الزاوية القادرية ببسكرة...

طقوس الزيارة كما لاحظنا بالمساجد التي بها أضرحة الأولياء مثل مسجد "سيدي عقبة" الذي يوجد به ضريح عقبة بن نافع، وضريح "سيدي علي بن عمر" بطولقة، وضريح مصلى "سيدي خالد" بمدينة سيدي خالد، وكما لدى غالبية الأضرحة تشمل قراءة بعض آيات القرآن الكريم وذكر بعض الأدعية ثم الطلب من الله ومتوسلين بالرسول الكريم وأصحاب

هذه القبور لقضاء حاجياتهم. والزائر يلجأ لهذا الضريح بغية قضاء المصالح الاجتماعية كالزواج وطلب الابن الذكر... أو طبية كالشفاء من بعض الأمراض (حيث يغسل المريض بتراب الضريح)... أو اقتصادية لتيسير العمل والتجارة والربح... أو نفسية كالوسواس والاكتئاب وعدم الراحة النفسية إضافة إلى الحمق والهلوسة وبعض ضحايا المخدرات... أو فقط بغرض السياسة وهناك من يعتبر هذه الزيارة تقليدا عن آبائهم ومحافظة على التراث الشعبي والمعتقدات الشعبية.

نلاحظ اليوم تزايد الاهتمام بالأضرحة والمساجد التي تتواجد بها يوما بعد يوم، ومن سنة إلى أخرى، إذ نسجل مؤخرا تزايد حضورها والاهتمام بها من طرف الطبقة السياسية، ولا نجد إلا القليل منها على الهامش وهي تلك التي لا أهمية لها في المكان والزمان في حين ما زال الكثير حاضرا وبقوة، وهي وسيلة يجلب بها المجتمع المحلي انتباه السياسي، كما يتم توظيف هذه الفضاءات التي تتواجد فيها الأضرحة من طرف السياسي، ومن طرف بعض النافذين ورجالات الدولة الذي تشكل لهم الأضرحة وسيلة لامتطاء وتحقيق المجد السياسي. ووسيلة لربح أصوات الناخبين في مناطقهم من خلال الاهتمام بالأضرحة والإنفاق عليها وملازمة حضور مواسمها وتقديم الذبائح لها وبالقرب أيضا من مصادر القرار ولفت نظر السلطان ووضع منطقة ضمن المناطق الواجب أخذها بعين الاعتبار، ضمن رسم خريطة التوازنات القبلية والعشائرية للدولة يحضر هذا البعد لدى كثير من السياسيين الذي يبرعون براعة مطلقة في استغلال تاريخ الاحتفال بصاحب الضريح. وهنا لا يعدم أمثال هؤلاء الوسائل للتغلغل في وسط المجتمع المقهور وتقديم أشخاصهم كأبطال قادرين على تغيير الواقع وتمرير خطاباتهم أنهم النموذج منبع للرحمة والعطاء دون حدود.[58]

ساهمت الأضرحة بشكل متميز في صون والحفاظ على التصوف والهندسة المعمارية والزخرفة والخط والقراءة القرآنية المتميزة للقران وبعض الأوراد. كما كانت تنتعش خلال الموسم "الحلقة" أو المسرح القبلي وهذا الانتعاش يصاحبه إبداع في التأليف والحكي وإنتاج الفرجة، وكانت "الفروسية" أروع منتوج ثقافي يلازم موسم الضريح من خلال تاريخ انعقاده[59].

شكلت مناسبة الاحتفال بالأضرحة وزيارتها متنفسا للسكان في موسم عيد الخريف بتكوت منطقة الأوراس، واحتفال 26 رمضان بسيدي خالد، قصد تصريف بضائعهم وممارسة التجارة، وقد كان الموسم السنوي للضريح مناسبة اقتصادية هامة تفنن أهل الزيبان والأوراس في الماضي للاستعداد لها، حيث يتحول الموسم إلى ظاهرة اقتصادية متميزة، فتنتشر الأسواق، ويكثر الباعة المتجولون بقياطينهم وعرباتهم، ويختصون في بيع الحلوى والملابس والحلي والعطور والعقاقير والأعشاب والبخور والتوابل، كما تكثر أشكال فرجوية أخرى يأتي في طليعتها حلقات المداحين والفروسية..

إن الموسم بهذه المواصفات يشكل ظاهرة غنية بدلالاتها الرمزية، ويجسد فضاء خصبا للممارسات الطقوسية والفرجوية، ويساهم في تحريك الحياة الإقتصادية، وتمتين الروابط الاجتماعية، ويحق لكل مدينة أن تزدهي بموسم وليها. واليوم لم تعد كذلك بقدر ما أصبحت مناسبة للتسوق والاستهلاك، وقد كانت مؤسسة الضريح من ذي قبل مؤسسة اقتصادية.

5.6. صلاة الجمعة وخطبتيها في مساجد الزوايا والأضرحة

جاء في لسان العرب أن الذين قالوا الجمعة ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنه يجمع الناس...والجمعة وهو يوم العروبة، سمي بذلك لاجتماع الناس فيه، ويجمع على جمعات وجمع، وقيل: الجمعة على تخفيف المعة والجمعة لأنها تجمع الناس كثيرا. [60]روي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، لأنه قال: إنما سمي يوم الجمعة لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم... وقال أقولم: إنما سميت الجمعة في الإسلام وذلك لاجتماعهم في المسجد... وجمع الناس تجمعا: شهدوا الجمعة وقضوا الصلاة فيها.[61]

تستشف مشروعية صلاة الجمعة من النص القرآني الذي يقول الله عز وجل في سورة الجمعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.[62]

النص بمنطوقه ومفهومه حسب الدكتور: محمد أمير ناشر النعم يشير إلى المهمة التعبدية المرجوة من صلاة الجمعة، وهذه المهمة تكتنفها وظيفتان: وظيفة تربوية وجدانية، ووظيفة فكرية علمية أو تعليمية. وتندمج هاتان الوظيفتان في (الموعظة الحسنة) التي تسد فراغا كبيرا، ومساحة عظيمة لم تكن لتملأ لولاها، فهي صوت الدين، ونداء الإيمان الذي يعلو المآذن كل يوم جمعة. هذا فيما يخص منطوق النص. أما الظروف الحافة به، فإنها تحمل في طياتها دلالة وبعدا سياسيا. فصلاة الجمعة وإن كانت عبادة مرتبطة بوجود الجماعة المسلمة أولا إلا أننا نرى أن النص لم يتنزل إلا بعد تحقق الدولة المسلمة، فهي عبادة مرعية من قبل الدولة والدولة شرط لها كما هو مقرر في بعض المذاهب الفقهية. «لذا ظلت صلاة الجمعة بالنسبة إلى الفقهاء رمزا للوحدة السياسية والاجتماعية للجماعة في الوطن الواحد».[63]

صلاة الجمعة، هي صلاة تقام كل يوم جمعة بعد دخول وقت صلاة الظهر في منتصف النهار، وتتكون من خطبة قبل الصلاة تسمى خطبة الجمعة ثم صلاة ركعتين بعد الاستماع للخطبة، وهي صلاة جهرية (الصلاة الجهرية الوحيدة في وضح النهار دون بقية الصلوات الخمس)، وهي صلاة فرض عين على كل المسلمين الذكور الأحرار البالغين المقيمين المستوطنين في أبنية إن كانوا غير معذورين. واختلف الفقهاء الإسلاميون حول تحديد أقل عدد تجب به صلاة الجمعة

فمنهم من قال إن كان في بلدة من البلدات أربعون ممن تنطبق عليهم الشروط السابقة فتجب عندها صلاة الجمعة ومنهم من أوجبها بأقل من ذلك العدد وهناك من قال إنها من الممكن أن تعقد بمصليين اثنين. خطيب الجمعة هو الشخص الذي يلقي الخطبة على المسلمين قبل صلاة الجمعة.[64]

صلاة الجمعة تجمع شعبي أسبوعي لا توجه لحضوره الدعوات ولا تعبأ لجلب الناس إليه الحافلات، كما يحدث مع بعض المهرجانات والاحتفالات أو التجمعات. الناس يذهبون طواعية لا يبتغون غير مرضاة الله، لكنهم غالبا ما يصاب كثير منهم بخيبات أمل تظل حبيسة الصدور. عموما، لا تخرج خطبة الجمعة في بيئة الدراسة عن أمرين أثنين: واحدة تدعو للحاكم وتثني عليه وتزين له أعماله حتى لكأنك تظن أنها تتحدث عن أحد الخلفاء الراشدين. الثانية تجدها تغرق في الويل والثبور والتحذير من عظائم الأمور وتمعن في الترهيب من يوم الحشر وعذاب القبر حتى يخرج الإنسان وهو مذعور وقلق مما ينتظره يوم القيامة. الأولى شائعة كثيرا في مساجد الزوايا، أما الثانية فهي نادرة فيها عكس المساجد الأخرى.

وقد لاحظنا خلال زيارتنا لهذه المساجد أيام الجمعة حضور شرائح مختلفة من المصلين: الصغار والكبار والمثقفين ومن دونهم من يصلي بانتظام جميع الصلوات، ومنهم من لا يصلى في المسجد إلا يوم الجمعة فقط، وكذا أصحاب الأفكار المختلفة حتى اليساري منها ويشمل الحضور المنتمون للتيارات السياسية المتناقضة ما عدا التيارات السلفية والتيارات الراديكالية. وجدنا في هذه المساجد الجد والأب والحفيد كما وجدنا المعلم والطالب، والجامعي والعامل. هذا الحشد من الحضور المتباين لا يوجد غالباً في أي حفل أو تجمع علمي وتربوي إلا في المسجد يوم الجمعة.

لا تكاد جمعة تمضي إلا والجمعة الأخرى على الأبواب، والأحكام هي هي، وجوب الحضور وفرض السعي لذكر الله، وهذا يمنح الخطيب فرصة كبيرة لنقل أفكاره لهذا الجمهور الذي لا يأتي متطوعاً، وبالمقارنة مع أي منبر إعلامي نجد أن منبر المسجد هو ذو الحظ الأوفى عدداً ونوعاً واستعداداً نفسياً.

5.6. قراءة الحزب الراتب: (التكرار)

تتميز منطقة المغرب العربي في الماضي القريب بكثير من العادات والتقاليد التي تميزها عن باقي مناطق العالم الإسلامي، من بين ابرز هذه العادات نجد: "قراءة الحزب"، أو ما يسمى بـ: "الحزب الراتب". فهي تسمية لعرف قرآني يطبع أجواء المساجد والزوايا في جميع الأنحاء المغاربية، في القرى والمدن والأرياف، حيث تتم القراءة الجماعية اليومية لجزأين من القرآن الكريم بنغمة واحدة تسمى محليا (بالمحمول)،[65] في أوقات معلومة قد تكون بعد صلاة الصبح أو بعد صلاة المغرب، أو قبيل صعود الخطيب إلى المنبر من يوم الجمعة، وفي رمضان بعد صلاة العصر. فيتم ختم القرآن الكريم كل شهر بهذه الطريقة، يقرأ الإمام جهرا ويتبعه الحضور في القراءة.

فيهم بعض رواد المسجد، أو طلبة مبتدئون في حفظ القرآن الكريم.

وقد تحدثنا مع بعض شيوخ المنطقة عن هذه العادة فكانت عدة روايات في الموضوع. منهم من يقال بأن الإمام ابن باديس أعجب بهذه الطريقة عندما قام بزيارة البلدة لتفقد حال الناس بها وزيارة بعض أهل العلم في المنطقة أمثال الشيخ محمد يكن الغسيري وهو يزور المدرسة القرآنية الكائنة بواحة خويف. إذ به يسمع تلاوة القران في كل مسجد يمر به فسأل عن الأمر فقيل له إن هذه تسمى الحزب الراتب، فأعجب بالأمر واستحسنه وعلق على الموضوع «كيف لي أن اعلم أناس هم متعلمون»... وقد فسروا له أسباب لجوئهم إلى هذه الطريقة في تلاوة القران التي تزيد من الحفظ وتساعد طالب العلم على تدارك أخطاء التلاوة ومعرفة التلاوة الصحيحة لكتاب الله.

وما يلفت انتباهنا أن تلاوة القران في هذه المساجد لا تخص أشخاصا معينين فقط وإنما أي شخص يحسن التلاوة أو يحفظ القرآن يمكنه أن يتقدم مع المجموعة ويتلو معهم القرآن، وفي بعض الأحيان لا تجد المجموعة السابقة التي رايتها البارحة إلا الإمام وهو أمر يثبت أن الكثير من سكان الزيبان والأوراس لهم جذورهم وعلاقة وطيدة بالقرآن الكريم وتلاوته.

والحزب الراتب يكون عبارة عن تلاوة حزبين من كتاب الله كل مساء وتكون التلاوة سريعة نوعا ما وفي شهر رمضان تتغير مواقيت التلاوة في بعض المساجد وفي بعض المساجد الأخرى بقيت المحافظة على التوقيت القديم فهناك مساجد كانت ترتل القرآن بعد صلاة المغرب، لكن في شهر رمضان يتحول التوقيت إلى ما قبل المغرب بساعة واحدة .

ويعد الحزب الراتب إرثا وتراثا دينيا ورثه أهل المنطقة أبا عن جد ويرفضون التخلي عنه رغم محاولة بعض الأشخاص القضاء على هذا النوع من التلاوة ومحاربتها بحجة أنها بدعة.

وقد حضرنا صلاة العصر بأحد المساجد بمنطقة آريس بالأوراس وهو مسجد زاوية صالحي الكائن بالدشرة الحمراء، وما أن سلم الإمام حتى ارتفعت أصوات مجتمعة وعلى نغمة واحدة، بتلاوة آيات من القرآن الكريم، لا تسمع من بين أصوات هؤلاء القارئين صوتا زائغا عنها، أو خارجا عن أصوات الجماعة، تتفاوت نبرات أصواتهم وسعة أنفاسهم، ويختلفون في تطويل المدود وتقصيرها، وفي مواضع الوقف. وقد يضطر القارئ فيهم إلى التنفس واستمرار رفقائه في القراءة، تفوته كلمات في لحظات تنفسه، لكن سرعان ما ينضم صوته إلى الأصوات الجماعية التي كانت تتلو آيات القرآن عن ظهر قلب دون انقطاع، في حلقات "الحزب الراتب"، التي يداوم على قراءته أهل الأوراس والزيبان بالمساجد العتيقة والزوايا. وفيها يتحلق قراء منتظمون يلازمون قراء الحزب، بجانب المحراب بعد العصر من كل يوم.

كانت قراءة "الحزب الراتب" من مهام إمام المسجد التلقائية التي لا تحتاج إلى تذكير عند إسناد الإمامة إليه، فإذا ما فرط في الحفاظ على ذلك، ينظر إليه على أنه مخل بواجباته الوظيفية، وقد يكون ذلك سببا في استبداله بإمام آخر به يقوم بقراءة الحزب. هكذا تحدث إلينا الكثير من شيوخ الزيبان والأوراس. أما اليوم فقد أصحت هذه العادة محصورة ومحدودة في العديد من المساجد التي ما زال أئمتها من المحافظين أو من المنتمين إلى الزاوية أو الأسر المسماة بالمرابطية أو التي تدعي بالنسب الشريف.

تتباين رؤية الجمهور المتعامل مع قراءة القرآن جماعة، بين من يعتبرها سنة محمودة، ونافلة لا تخلو من فائدة، فرأوا مقاصدها في حفظ القرآن ودوام سماعه، بما يدفع إلى إجازة تعليم الناس وتعويدهم على القراءة السليمة، وشغلهم عن اللغو في المسجد، وذكروا أن كل من يرى فيها بدعة، يضيع على الناس فضلها، خاصة إذا لم يتيسر للفرد قراءة ورده اليومي فرديا، ولذا فيجب عدم حرمان الناس منها، لأنه فيها من التشجيع على الحفظ والتنافس في التلاوة وعمارة المساجد بقراءة القرآن فيها باستمرار ما يدعو إلى إقرارها.

وبين من يتحفظ على القراءة الجماعية، كونها لم تثبت عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وأنها تخل بمعاني القرآن، ولا يتحصل معها معنى التدبر، مع ما يلاحظ على القراءات الجماعية من تعذر التوافق بين القارئين فيها. وأن التشجيع والتنافس في التلاوة وعمارة المساجد بها، يكون أكبر إذا ما قرأ الواحد وأنصت الباقون، أو تداولوا على القراءة...

ويعلق عبد أحد المبحوثين الذين تعاملنا معهم أثناء زياراتنا المتكررة إلى مساجد الزوايا والأضرحة ببيئة الدراسة، على أن القراءة الجماعية بالمساجد في الماضي، يحقق غاية استظهار حفاظ القرآن لحفظهم وتثبيته في الصدور، كما أنه كان يساعد المقبلين على قراءة القرآن الكريم، على المواظبة ومواكبة حلقة الحزب بما يحفظ لهم قراءة سليمة من أي لحن، مؤكدا معرفته لمجموعة من المواظبين على قراءة الحزب الراتب تمكنوا من حفظ القرآن سماعا بشكل سليم وهم أميون. وذكر أن هذه الطريقة وسيلة من وسائل إعمار المساجد واجتماع القراء المتفرقين في وقت مخصوص لتعهد حفظهم لكتاب الله، مضيفا أن هذه العملية تساعد على كشف أنواع التلف الذي يكون ببعض المصاحف أو بعض الأخطاء المطبعية.

7. مناقشة النتائج

يؤكد المقدس ذاته عبر ظاهرة "الزوايا والأضرحة والطرق الصوفية والولاية والصلاح"، فهذه الفضاءات تحضى بتقديس الناس، ويزدحمون عليها لالتماس البركة، وتهب مختلف الشرائح الاجتماعية لزيارتها من أجل تحقيق الأماني، ويعقدون للتبرك به احتفالات ومواسم تأخذ طابعا كرنفاليا تمتزج فيها ممارسة الطقوس الفرجة المقدسة في مكان مقدس، وفي زمان مقدس.

وتنتشر هذه الظاهرة (ظاهرة مساجد الزوايا والأضرحة) في مدن وقرى الزيبان والأوراس، فأينما يممت وجهك تعترضك قبة ولي، ومزارة صالح، وزاوية شيخ، وضريح عابد، بعضهم معروف التاريخ ومجهول المزار، وبعضهم لا تعرف له ترجمة ومشهور الضريح. وتخضع جغرافية المقدس للتنوع والتعدد، فالفضاءات التي نتحدث عنها، توجد عند مجاري الوديان، والبساتين المحيطة بالمدن والقرى، وفوق التلال، وعند أبواب الأسوار، وفي الأحياء والدروب، وبالمنازل والدور والزوايا، والكثير من المساجد الأثرية تحمل أسماء الأولياء الذين دفنوا بها.

وقد تفاعلت مختلف الشرائح الاجتماعية مع المساجد المتواجد في فضاءات الزوايا، أو المساجد المبنية على أضرحة ومقامات الأولياء والشيوخ والصلحاء، فركزت اهتمامها على زيارتها، والتمسح بها، والطواف حول أضرحتها، والاغتسال بمائها، والاستشفاء بتربتها وفق أزمنة مخصصة، وقدمت لها الهدايا، ووقفت لها الأحباس، وسعت إلى تأثيثها، وإقامة المواسم فيها. إنها ظاهرة ديناميكية، ذات فعالية خاصة، تمارس تأثيرها على كل الجوانب المحيطة بها، لا سيما في الحياة الاجتماعية، فكثير من السلوكات والمعتقدات والعوائد يمكن حل شفرتها وفهم أسرارها بردها إلى أصولها القدسية، في تفاعلها الدينامي مع ظاهرة مساجد الزوايا والأضرحة، فالمجتمع المحلي لا زال متمسكا بموروثه الديني من خلال ممارسة الطقوس، والحفاظ على التقاليد، مع تسجيل بعض الفتور لدى البعض، والانقطاع بالكلية لدى البعض الآخر.

5. خاتمة

صفوة القول إن الاهتمام بالمساجد الأثرية المتواجد معظمها في فضاءات الزوايا أو التابعة للطرق الصوفية أو تلك التي تحتوي على أضرحة ومقابر الأولياء وأسرهم الشريفة، في حياتنا الراهنة ضرورة حتمية من أجل تخليدها، وتكريم أعلامها، ولما لا بعثهم من جديد، لأنهم يشكلون الذاكرة الحية للمدن والقرى التي تتواجد فيها هذه الفضاءات المقدسة، صنعوا جزءا من تاريخها العريق، ويتم هذا الاهتمام بصيانة عمرانها، وإغناء البحث العلمي من حولها، والمحافظة على تأثيثها وتجهيزها، وإخصاب وظيفتها، باتخاذها معاهد للتدريس ومنتدى للتثقيف، ومعاقل للتربية والتكوين الروحية، وربطها بمشروع التنمية المستديمة، لا سيما في المحافظة الأثرية والسياحة الثقافية، مثل ما تم في مسجد سيدي عقبة بالزيبان.

إن إنجاز هذه الخاتمة لا يعني أن البحث حول موضوع المساجد الأثرية، خاصة تلك التي تتواجد في فضاءات الزوايا بها أضرحة الأولياء والشيوخ والصلحاء بمنطقتي الزيبان والأوراس قد استنفد طاقته، فهذا أمر شاق وصعب، فتعقد الظاهرة الدينية والقدسية، وتشابك معطياتها، وسعة مجال الدراسة، وعراقة المنطقة تاريخيا وحضاريا خاصة في مجال المقدس، يستعصي عن الشمول، ويتأبى عن الإستغراق، ويتطلب إنجاز دراسات علمية أخرى موازية تحاصره في كل اتجاه، وتقاربه من

مختلف الجوانب بطرق موضوعية دقيقة، وبمناهج حديثة، حتى نرد الاعتبار لتراثنا، ونزيل الغبن عن ثقافتنا، ونفهم أسرار ماضينا لنبني حاضرنا، ونصنع مستقبلنا، وحسبنا أننا أضأنا جانبا أساسيا من هذا الموضوع، وكشفنا الغطاء عن بعض حقائقه وتجلياته، وعرفنا ما الثابت فيه وما المتحول وظيفيا معماريا، بحسب الظروف والمؤثرات الثقافية والحضارية الإقليمية والعالمية، وبذلك نكون قد مهدنا السبيل لأعمال أخرى أتية لا ريب، ستعمق المعرفة به، وتعمل على سبر أغواره، في اتجاه استجلاء أعماقه وأسراره.

تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

الهوامش

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار المعارف، بيروت – لبنان، (ب س ن)، ص 1940.

2- المصدر نفسه، ص 680.

3- حسين مؤنس، "المساجد"، سلسلة عالم المعرفة، رقم 37، الكويت، سنة 1978، ص 13.

4- صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشاطها، (ب ط)، دار البراق بيروت – لبنان، سنة 2002، ص 301.

5- اعميراوي أحميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ط 02، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة – الجزائر، سنة 2007، ص 25.

6- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، ص 1894.

7- محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، (ب ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1981، ص 410.

8- فيلالي المختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، ط 01، دار الفن للطباعة، باتنة – الجزائر، سنة 1976، ص 27.

9- إيدوارد دونفو، الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ترجمة كمال فيلالي، (ب ط)، دار الهدى، عين مليلة – الجزائر، سنة 2003، ص 26.

10- صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، مرجع سابق، ص 302.

11- ابن منظور، مصدر سابق، المجلد الثاني، ص 526.

12- محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة الأيمان، القاهرة، ب ت، ج5، ص134.

13- زكي محمد حسن، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981، ص 155.

14- محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج4، ص 51.

15- كلود لبفي ستروس، "الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، (ب ط)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق، سنة1977، ص 45.

16- أنظر البكري أبو عبد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، (ب ط)، الجزائر 1957، ص 74.

17- الحسين بن محمد السعيد الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار(الرحلة الورتلانية)، مطبعة بيار فنتانا، الجزائر، 1908، ص 104.

18- أنظر أيضا: Cauvet, Les Marboutspetits monuments funéraires, Revue Africaine, Année 1923, p. 455

19-Le Bon G., La Civilistion des Arabes, Italie 1969, p. 196.

20- Marçais G., Le Tonbou de Sidi Oqba, Annales de l'institut d'études orientales, n° v, p. 10.

21- حسين مؤنس، المساجد، مرجع سابق، ص 230.

22- فيلالي المختار الطاهر: نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 34.

23- العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البراق، بيروت- لبنان، سنة 2002، ص 772.

24- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1980، ص 272.

25- المرجع نفسه، ص 227.

26- OCTAVE DU PONT et COPPOLANIE, Les Confréries religieuses musulmans, alger, ajordan, 1897, p 312.

27- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجلاني وانتشار طريقته، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، سنة 2008، ص 286.

28- OCTAVE DUPONT, op.cit, p 311.

29- OCTAVE DUPONT, ibid, p 312.

30- الشيخ علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن الموفق بن عمر بن أحمد و ينتهي نسبه إلى إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمد الحسن المثنّى بن الحسن السِّبط بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – كما جاء في كتاب (الدّر المكنوز) للشيخ عبد الرحمن بن الحاج.

31- أنظر علي رضا الحسيني، زاوية علي بن عمر- طولقة، الجزائر، الدار الحسينية، تونس، 2002، ص 111.

32- أنظر فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية (زاوية الهامل ببوسعادة، حاضرة المسيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، سنة 2006.

33- الشاذلي (عبد اللطيف)، التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، مطابع سلا، سلا، 1989، المغرب، ص 125.

34- تقوم اللجان الدينية في بعض المساجد بنشاطات اجتماعية تحاول من خلالها تحقيق التكافل الاجتماعي، مثل شراء الملابس واللوازم المدرسية للمتمدرسين، جمع الأموال لشراء الأضاحي لذوي الدخل المحدود، مساعدة المرضى خاصة ذوي الأمراض المزمنة على السفر للعلاج أو شراء الأدوية لهم، وقد قامت بعض الجمعيات الدينية على المستوى الوطني بتنظيم حفل زفاف جماعي لميسوري الحل بالمساجد، كما تقوم جمعيات أخرى بتنظيم حملات التبرع بالدم للمرضى، أو بتنظيم حملات تطوعية للتنظيف المحيط.

35- محمد ضريف، مؤسسة الزوايا، مرجع سابق، سنة 1992، 123.

36- البركة: كما ورد في لسان العرب هي النماء والزيادة. والتبريك: الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة. تبركت به أي تيمنت به، والمبارك هو الذي يأتي من قبله الخير الكثير، وتبارك بالشيء أي تفاءل به. البركة في الفكر ما قبل الإسلامي، خصوصا الفكر البدوي، هي صفة خفية ومستورة، تضاف إلى الكائنات والأشياء، حاملة معها الخيرات والحسنات. فهي التي تعطي الخصب وتكاثر الولادات وتوفر النجاح؛ إنها الوفرة في البرية، والنماء في القطيع، وروح الشفاء. يمكنها أن تزداد أو تنقص حسب الظروف أو حسب سلوك أولائك الذين تنعم عليهم بحضورها. إنها طالع فأل وخير، نعمة تخرج من البيت الذي تضربه التعاسة أو تصيبه اللعنة. سببها مجهول، لكنها تعزى في آخر المطاف إلى هذه القوة الخفية التي يبدو أن حياة العالم متوقفة عليها: القدسي. غير أن تبعتها اتجاهه، مهما كانت مطلقة، لا تسمح بأي حال من الأحوال بالخلط بينهما. الواقع أن البركة هي غير المقدس وغير المدنس. فمجال المحظور يحاذيها دون أن يستوعبها. وهي مثله، تؤثر بما تملك من مزاياه الكبرى، خصوصا بطريق اللمس أو الإتصال، وتمارس فعاليتها على غرار طاقة تطال الكائنات والأشياء جماعيا أو فرديا، ولأمد مديد أو عابر. لكنها بلا ضرر، خلافا للحرام، وهو المحظور تعريفا، وكل ما لا يستطيع الكائن الدنيوي، المدنس، الإقتراب منه بلا عقاب، وأن اكتساب البركة، المنشودة والمأمولة دائما، لا يستلزم أيا من تلك الشعائر الإنتقالية، الضرورية لكل إنسان يرغب في

اختراق مجال القدسي.

أما الإسلام الذي تأثر بالمجتمع الإرواحي العربي، فهو موسوم أيضا بهذه السمة. إلا أن عقلنته للقدسي نجم عنها رد كل القوى الخفية، داخل الأرض أو خارجها، إلى الله. فلا يستطيع أي مخلوق الإدعاء ببعض الإمتيازات، اللهم إلا الإمتيازات التي منحها الله لخلقه. لذا فإن البركة لا تعود متحدرة من القدسي إلى المجهول، وتغدو من امتيازات الله، الواحد الأحد. ولا شك أنها تحتفظ بسماتها الرئيسية ولا تتوقف عن كونها خيرة وحسنة. ولكنها تبدو من الآن وصاعدا على علاقة وثيقة بالقداسة، فيما كان انتشارها في الكائنات والأشياء لا يخضع مظهريا لأي قانون.

37- يوسف شلحد، بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1996، صص 40-41.

38- محمد المازوني، وظائف الزوايا المغربية (مدخل تاريخي)، مقال منشور على موقع أنفاس من أجل الثقافة والانسان ،تاريخ النشر: 2011/10/01، تمت زيارة الموقع بتاريخ: 15/11/2019، على الرابط التالي: https://anfasse.org/branding/xmkbs6599/4551.html

39- الشيخ في المعاجم هو الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب. أي من أدرك الشيخوخة، وهي غالبا عند الخمسين، وهو فوق الكهل ودون الهرم. ومن الناحية الرمزية يطلق اسم الشيخ على ذو المكانة من علم أو فضل أو رياسة، فشيخ البلد من رجال الإدارة في القرية أو البلدية، وهو دون العمدة. والشيخ عند المسلمين هو رجل الدين، فهو كل كبير المقام، "شيخ العقل" عند الدروز: هو رئيس مذهبهم وزعيمهم الروحي ورئيس مجلسهم المذهبي. "شيخ العلماء": كبيرهم وتطلق على العالم وكبير الطريقة، ومن يكون له مقام أو فضل أو علم بين الجماعة، كأن نقول "شيخ الإسلام" وهو لقب يعطى لأعلم وأفقه أهل زمانه منهم ابن تيمية في عصره. "شيخ الأزهر" وهو أعلى مسئول في الأزهر الشريف. الشيخ الرئيس وهو لقب ابن سينا، الشيخان: أبو بكر وعمر من الصحابة، والبخاري ومسلم من علماء الحديث. شيخ المرأة: زوجها، شيخ النار: إبليس الملعون.

40- مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة- بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة1996، ص 278.

41- أنظر الترجمة الوظيفية للشيخ عبد القادر عثماني.

42- إمام ومدرس سابق بمسجد سيدي عقبة. الشيخ عبد المجيد بن حبة السلمي فقيه ومؤرخ ومحدث واديب وشاعر ولد سنة 1911 م بمدينة سيدي عقبة بولاية بسكرة وبها حفظ القرآن الكريم وتلقى العلم على اشهر علماء المنطقة بعد تمكنه من العلوم الشرعية تصدر للفتوى والتدريس بسجد الصحابي عقبة بن نافع حيث ختم فيه تفسير القرآن الكريم تدريسا ما بين سنة 1940ـ1952م وفي 1952 م انتقل الى بلدة المغير واستقر هناك الى ان وافته المنية في 21 سبتمبر 1994 م ترك عدة مخطوطات اهمها :عقبة بن نافع القائد المظفر، تذكرة اولي الالباب بملخص بسكرة والزاب، قيد الاوابد من حياة خالد، الهمة في ما ورد في العمة.

43- ليليا بن سالم وآخرون، الأنثروبولوجيا والتاريخ (حالة المغرب العربي)، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار طوبقال، الدار البيضاء-المغرب، ص36.

44- ارتبطت المقاربة الإنقسامية أساسا بالأنثروبلوجية الأنجلوسكسونية التي اهتمت بدراسة التشكيلية الاجتماعية السياسية المغربية منذ الحرب العالمية الثانية، ويصح القول بأن النظرية الإنقسامية قد مارست تأثيرا مغريا على الباحثين واعتبرت المجتمع القبلي المغربي نموذجا حيا لتطبيقها، ويبدو أن "دوركايم" هو أول من استعمل مفهوم النظرية الانقسامية لدراسة المجتمعات وتطورها، ثم عرف المفهوم في السنوات الأخيرة تداولا واسعا على يد الباحثين الأنكلوسكسونيين كما تجلى ذلك في أعمال" إرنستكيلنر"، " دافيد هارت" و "واتريوري".

45- محمد المازوني، وظائف الزوايا المغربية (مدخل تاريخي)، مرجع سابق.

46- M. Faublée-Urbain : Magasins collectifs de l'Oued el Abiod (Aurès). In: Journal de la Société des Africanistes. 1951,tome 21 fascicule 2. pp. 139-150.

47- أرنيست غيلنر، المغرب مرآة للإنسان، ترجمة أبو بكر باقادر، مجلة الإجتهاد، العدد 47-48، دار الإجتهاد – بيروت – لبنان، سنة 2000، ص 190.

48- Germaine Tillion, Il était une fois l'ethnographie, éditions du seuil, Paris vie, 2000, pp 177-179.

49- الشاذلي (عبد اللطيف)، التصوف والمجتمع، مرجع سابق، ص 189.

50- التوفيق (أحمد)، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850 – 1912)، البيضاء، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1978، ج 2، ص 92.

51- أنظر بيان وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الصادر بتاريخ، 2003/08/21 عقب زيارة السيد الوزير لتيزي وزو لزاوية سيدي (بالو)، مجلة رسالة المسجد، العدد الثاني، رجب 1424هـ/2003م، ص95.

52- جاء في قاموس المعاني أن "موسم" جمع مواسم له عدة معان: اسم مكان من وسم، اسم زمان من وسم، حفل، مجمع كثير من الناس، معرض، سوق موسمية، وقت ظهور الشيء أو اجتماع الناس له، حلول الوقت المناسب أو المعتاد لزراعة معينة أو لجني غلة، زمن معين لممارسة دينية أو فنية.

53- Germaine Tillion, Il était une fois l'ethnographie, op.cit, pp 177-179.

54- محمد لحول، الزوايا والطرق الصوفية بالبلاد التونسية (منطقة دوز عينة)، مجلة الثقافة الشعبية، العدد الرابع، شتاء 2009، البحرين، ص 65.

55- سورة يونس، الآية 62.

56- علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الجزء الرابع، باب زيارة القبور، دار الفكر، سنة 2002، ص 1256.

57- عبد الإله لعزاوي، مونوغرافية المقس بمدينة مكناس (مقاربة لظاهرة الأولياء في تجلياتها الثقافية والأدبية ودراسة آليات اشتغال الكتابة)، الجزء الأول، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، سنة 2010، الرباط- المغرب، ص 374.

58- سجلنا في منطقة الزيبان وبالتحديد بالزاب الشرقي قيام أحد الأغنياء ووجهاء ولاية بسكرة بمبادرة، تتمثل في ترميم مسجد زاوية سيدي الصادق بلحاج المسماة بزاوية تيبرماسين خلال عام 2013 .

59- يشكل احتفال 26 رمضان بسيدي خال المناسبة المهمة التي نجد فيها كل المظاهر الاحتفالية كالتنكييت والفروسية والمسرح والإنشاد والسوق...

60- لسان العرب، الجزء الثاني، ص 681.

61- المصدر نفسه، ص 682..

62- سورة الجمعة، الآيات: 11-09.

63- محمد أمير ناشر النعم، خطبة الجمعة بين الواقع والمثال، مجلة رسالة المسجد، العدد الثاني، رجب 1424 هـ/ سبتمبر 2003م، ص 39.

64- المرجع نفسه، ص40.

65- المحمول: هي طريقة من طرق القراءة الجماعية للقرآن التي كانت ولا تزال في مساجد الزوايا والأضرحة التي تقوم الأسر الشريفة عليها تسهر على رعايتها.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

ابن منظور. (2008). لسان العرب (المجلد 03). بيروت، لبنان: دار المعارف.

إرنيست غيلنر. (2000). المغرب مرآة الإنسان. مجلة الاجتهاد(47-48)، صفحة 190.

اعميراوي أحميدة. (2007). من الملتقيات التاريخية الجزائرية (الإصدار 02). عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر.

البكري أبو عبد الله. (1957). المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. الجزائر، الجزائر.

التوفيق أحمد. (1978).)، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850 – 1912) (المجلد 02). منشورات كلية الأداب بالرباط، المغرب: البيضاء.

الحسن بن محمد السعيد الورتلاني. (1908). نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورتلانية). الجزائر، الجزائر: مطبعة بيار فانتانا.

الشاذلي عبد اللطيف. (1989). التصوف والمجتمع نماذج من القرن العشرين. سلا، المغرب: مطابع سلا.

العقبي صلاح مؤيد. (2002). الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر. بيروت، لبنان: دار البراق.

إيدوارد دونفو. (2003). الإخوان: دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.

حسين مؤنس. (1978). المساجد (المجلد 37). الكويت، الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

زكي محمد حسن. (1981). فنون الاسلام. بيروت، لبنان: دار الرائد العربي.

صلاح مؤيد. (2002). الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر-تاريخها ونشاطها. بيروت، لبنان: دار البراق.

عبد الاله لعزاوي. (2010). عبد الإله لعزاوي، مونوغرافية المقس بمدينة مكناس (مقاربة لظاهرة الأولياء في تجلياتها الثقافية والأدبية ودراسة آليات اشتغال الكتابة) (الإصدار 01، المجلد 01). الرباط، المغرب: دار ابي رقراق للطباعة والنشر.

عبد الباقي مفتاح. (2008). أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.

علي بن سلطان محمد القادري. (2002). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (الإصدار 01، المجلد 04). بيروت، لبنان: دار الفكر.

علي رضا الحسيني. (2002). زاوية علي بن عمر-طولقة. تونس، تونس: الدار الحسينية.

فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية. (2006). زاوية الهامل ببوسعادة حاضرة المسيلة. بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي.

فيلالي المختار الطاهر. (1976). نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني (الإصدار 01). باتنة، الجزائر: دار الفن للطباعة.

كلود ليفي ستروس. (1977). الأنثروبولوجيا البنيوية. دمشق، سوريا: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

لحول محمد. (2009). الزوايا والطرق الصوفية بالبلاد التونيسية (منطقو دوز عينة). مجلة الثقافة الشعبية(04)، صفحة 65.

ليليا بن سالم وآخرون. (1988). الأنثروبولوجيا والتاريخ (حالة المغرب العربي) (الإصدار 01). (عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، المترجمون) الدار البيضاء ، المغرب: دار طوبقال.

محمد المازوني. (01 أكتوبر، 2011). وظائف الزوايا المغربية (مدخل تاريخي). تاريخ الاسترداد 2019 نوفمبر، 15، من موقع أنفاس من أجل الثقافة والانسان: https://anfasse.org/branding/xmkbs6599/4551.html

محمد أمير ناشر النعم. (سبتمبر، 2003). خطبة الجمعة بين الواقع والمثال. مجلة رسالة المسجد(02)، صفحة 39.

محمد بن مرزوق التلمساني. (1981). المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

محمد ضريف. (1992). مؤسسة الزوايا (الإصدار 01). فاس، المغرب: مكتبة طريق العلم.

محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي. (1981). صحيح مسلم بشرح النووي (المجلد 05). القاهرة، مصر: مكتبة الإيمان.

مصطفى عبد الكريم الخطيب. (1996). معجم المصطلحات والألقاب التاريخية (الإصدار 01). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

ناصر الدين سعيدوني. (1980). دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

وزارة الشؤون الدينية - الجزائر. (1، 2003). بيان وزارة الشؤون الدينية والأوقاف. مجلة رسالة المسجد، صفحة 95.

وزارة الشؤون الدينية -الجزائر. (21 أوت، 2003). زاوية سيدي (بالو). مجلة رسالة المسجد(02)، صفحة 95.

يوسف شلحد. (1996). بنى المقدس عند العرب قبل الاسلام وبعده (الإصدار 01). بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.

المراجع باللغة الأجنبية

Bon, G. L. (2010). La civilisation des Arabes. (A. Bustane, Éd.) p. 196.

Cauvet. (1923). Les Marabouts petits monuments funéraires. Revue Africaine, 67, p. 455.

COPPOLANIE, O. D. (1897). Les confréries religieuses musulmans. Aler.

Faublée-Urbain, M. (1951). Magasins collectifs de l'Oued el Abiod (Aurès). Journal des Africanistes, 139-150.

G. Marçais. (1939-1941). Le Tonbou de Sidi Oqba. Annales de l'institu d'études orientales، 07، 10 صفحة.

Tillion, G. (2000). Il était une fois l'ethnographie. Paris, France: éditions du seul.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

المؤلف سليم درنوني (2021)، **التحولات الوظيفية لمساجد الزوايا والأضرحة بين الأمس واليوم دراسة أنثروبولوجية بالزيبان وجنوب الأوراس، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد13، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص،ص:199-213**